العشق من منظور الكتاب والسُّنَّة

Love From The Perspecive Of The Quran And Sunnah

لطفي شيخ[1]، عبد العزيز ناصري[2]،

[1]كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية و الإسلامية، جامعة العقيد أحمد دراية– أدرار(الجزائر)، Lot.chikh@univ-adrar.edu.dz

[2]كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية و الإسلامية ، جامعة العقيد أحمد دراية– أدرار(الجزائر)، nasri1481@ univ-adrar.edu.dz

تاريخ الإرسال: 2021/02/04 تاريخ القبول:2022/06/13 تاريخ النشر: سبتمبر/2022

الملخص:

لا يخلو إنسان سليم الطَّبع من محبَّة الجمال والحُسن، ولكن هذه المحبَّة قد تطغى فتصير إلى حدِّ الإفراط والمُلازمة، وتتشوَّه الطَّبيعة بذلك وكثيرا ما سمعنا عن أساطين الحُبّ في التَّاريخ العربي وما صاروا إليه من الجنون وبعضهم وصلت به الحال إلى الهلاك والموت، ذلك ما يُسمَّى بالعشق. ولئن كان لم يُذكر بلفظه ومبناه في نصوص الكتاب والسُّنَّة فقد ذكر بشَخصه ومعناه في كثير من النُّصوص، وقد جاء بيان حقيقة سببه من المُشاكلة والمُناسبة الرُّوحيَّة الحاصلة بين المُتعاشقين، والتي من خلالها يحصل العشق. ولمَّا كان العشق محبَّة خارجة عن الاعتدال مع ما يُوجبه لصاحبه من الضَّرر الحسِّي والمعنوي، فإنَّ نصوص الوحي قد احتوت على طرق وقائيَّة تقي المُسلم الذي لم يملك الهوى قلبه من الوقوع في شَرَك العشق وتقوده إلى التزام الاعتدال في محبَّته للمخلوقين، ولئن وقع في العشق فإنَّها قد احتوت على طرق أخرى علاجيَّة تنتشله من سَكْرة العشق، وهو ما تُحاول هذه الورقة تسطيره.

الكلمات المفتاحية: العشق، المحبَّة، الوقاية، العلاج.

Abstract:

A healthy person is not devoid of the love of beauty, but this love may overwhelm, and nature is thus deformed. We have heard about the masters of Arab love and what they have become from madness and death, that is what is called excessive love. And while his wording was not mentioned in the Qur'an and Sunnah, it was mentioned with its meaning, and a statement came to me that it fit my soul. And since this love is out of moderation with the harm it inflicts on its owner, the Qur'an and Sunnah contain preventive methods that protect the Muslim from falling into excessive love, and they also contain other remedial methods that extract him from the intoxication of love, which is what this paper tries to underline.

Key words: Adoration, love, prevention, treatment.

المؤلف المرسل: لطفي شيخ، الإيميل المهني: Lot.chikh@univ-adrar.edu.dz

مقدمة:

الحمد لله الذي تعرَّف إلى عباده بجميل صفاته وحُسن ما اشتملت عليه من الحُسن والجَلال، و تحبَّب إليهم بما أغدق من النِّعم والخِلال، وصلَّى الله وسلَّم على من بلغت محبَّته لله تعالى الخُلَّة، فأنفق حياته في بيان معالم المِلَّة وهداية الأُمَّة، وبعد: فإنَّ الله تعالى لمَّا خلق آدم أبا البشريَّة، خلق له من ضلعه زوجة حتَّى تستمر الحياة البشريَّة، وجعل بينهما من المودَّة والسَّكينة ما يسعد به بنوه من بعده، قال تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (21)} [الروم: 21]، والعشق نوع من الحُبُّ الذي هو شعور إنساني لا تقوم عجلة الحياة إلَّا به.

وقد يشْتدُّ هذا العشق وتتفاوت مراتبه، وقد تحول دونه الموانع. والنَّاس على اختلاف مناهجهم كلٌّ قد تكلَّم في هذا الشُّعور الذي لا يخلو منه بدن لا زالت تنبض فيه الحياة، والمُسْلم في خِضمِّ هذه الاتِّجاهات، يتميَّز بأنَّ له في كتاب ربِّه وسُنَّة نبيِّه –صلى الله عليه وسلم– ما يُنير له الطَّريق في التَّعامل مع خلجات نفسه وتصرُّفات غيره، وكيف لا وقد وعده الله تعالى: {فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (123)} [طه: 123].

وهذا يقودنا إلى طرح التَّساؤل التَّالي: ما هو المنظور والمفهوم الذي صوَّرته نصوص الكتاب والسُّنة لقضيَّة العشق؟ ويتفرَّع من هذا: هل أعْطت له النُّصوص معنى زائدا عن معناه اللُّغوي؟ ما هو موقعه في الميزان المقاصدي للشَّريعة الإسلاميَّة؟ ما هو التَّعامل النَّاجع الذي تعاملت به نصوص الوحي وَفق النَّظرة التي أسبغتها عليه؟

وقد تناولنا دراسة نصوص الوحي حول قضيَّة العشق، في ثلاث نقاط: الأولى: مفهوم العشق، وذلك في اللغة ونصوص الوحي. الثَّانيَّة: تناولنا فيها التمثيل للعشق من خلال نصوص الكتاب والسُّنَّة، وبيان الآثار المُترتِّبة عليه. الثَّالثة: بيَّنَّا طريقة التَّعامل الشَّرعيَّة مع العشق، بالوقاية منه قبل وقوعه. والعلاج منه بعد وقوعه.

وقد اعتمدنا في بحثنا بالأساس على النُّصوص من الآيات الكريمة والأحاديث الشَّريفة، واعتمدنا في تخريج الأحاديث على كُتُب السُّنَّة المعروفة، وإذا كان الحديث في أحد الصحيحين أو كلاهما اكتفينا بذلك، وإن لم يكن عمدنا إلى تخريجه من باقي كتب السُّنَّة مُردفين ذلك ببيان الحكم النَّقدي على الحديث.

1- مفهوم العشق:

1.1- مفهوم العشق في اللغة:

المعنى الذي اتفق عليه علماء اللغة في مادَّة عشق هو: الحبُّ المُفرط والمُجاوز للحدِّ الطَّبيعي، ويُطلق على الحبّ العفيف النَّزيه الذي لا يلجأ صاحبه إلى الاتِّصال المُحرَّم، وكذلك على الحبَّ الذي يتَّخذ صاحبه طرقا غير مشروعة للاتِّصال بمعشوقه[1]، ومن ذلك ما قاله بن فارس: [2]«العين والشين والقاف أصل صحيح يدل على تجاوز حدّ المحبة». وعليه فإنَّ العشق يُفارق المحبَّة من جِهة الشِدَّة والدَّرجة[3]. وفيه معنى اللزوم والإقامة على الحبِّ بحيث لا يُفارق قلب العاشق ذكر محبوبه[4].

وذُكرت فيه بعض المعاني الأُخرى، ولكنَّها معان ضعيفة ضعَّفها أئمَّة اللُّغة وذلك راجع لأمرين: أوَّلا: لبُعد الاشتقاق، مثل: معنى الهُزال والضَّعف الجسمي للعاشق، وذلك أخذا من العَشَقَة وهي شُجيرة تذبل ثم تتساقط[5]، وثانيا: لأنَّه إن كان يُصيب العاشق في غالب الأحيان ما يُصيبه من الضَّعف البدني بسبب السَّهر والغمّ الذي يعتريه من أثر انقطاعه عن معشوقه، فإنّ ذلك ليس بمُطَّرد ولا لازم، لأنَّ النَّاس يختلفون في مستوى صبرهم وتأثير العشق فيهم، ولذلك قال الوزير الفقيه ظهير الدِّين الأهوازي:

[6]«وإنّي لأبدي في هواك تجلُّدا... وفي القلب منِّي لوعة وغليل

فلا تحسبي أني سلوت فربَّما...ترى صِحَّة بالمرء وهو عليل».

وبالتَّالي: فإنَّ معنى العشق في اللُّغة هو: الحبُّ المُفرط المُلازم. وقد يكون مع عِفَّة أو مع انحلال، وقد يُوجب لصاحبه ضعف البدن وقد يسلم من ذلك.

2.1- مفهوم العشق في الكتاب والسُّنَّة:

لم يأت العشق بلفظه في نصوص القرآن مطلقا، ولم يرد في السنة إلَّا حديث عن ابن عباس يرفعه: "من عشِقَ وعفَّ وكتَم فمات، فهو شهيد"[7]، ولا يصح رفعه إلى النبيِّ –صلى الله عليه وسلم–، وإنَّما الثَّابت عند أئمَّة الحديث أنَّه موقوف على بن عبَّاس – رضي الله عنهما–[8]، ولكن قد أتى العشق في النُّصوص بمعناه اللُّغوي الذي مرَّ، وهو الحُبُّ المفرط الملازم.

وأمَّا ما يدلُّ على إفراطه وخروجه عن الحدِّ الطبيعي، [9]«فقد فسَّر كثير من السلف قوله تعالى: {رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ } [البقرة: 286] بالعشق. وهذا لم يريدوا به التخصيص وإنما أرادوا به التمثيل وأن العشق من تحميل مالا يطاق، والمراد بالتحميل هاهنا التحميل القدري لا الشرعي الأمري قالوا وقد رأينا جماعة من العشاق يطوفون على من يدعو لهم أن يعافيهم الله من العشق ولو كان اختيارا لأزالوه عن نفوسهم».

وكذلك فإنَّ الله تعالى لم يحك العشق عن عباده المؤمنين، الذين من أبرز صفاتهم التزام العدل في كل شيء، قال تعالى: {وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (181)} [الأعراف: 181]، والآيات التي يأمر الله تعالى فيها عباده بالعدل والقسط كثيرة، منها قوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ} [النحل: 90] الآية، والمؤمن طائع لربِّه في ذلك، وهذا يعني أنَّ كلَّ ما خرج عن حدِّ الاعتدال فليس من صفات أهل الإيمان، وإنَّما حكا الله العشق وهو الحبُّ الخارج عن الاعتدال عن المُشركين ومُخالفي الرُّسل –عليهم السَّلام–، كما قال تعالى في وصف نساء مصر لامرأت العزيز مع يوسف –عليه السَّلام–: {وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (30) } [يوسف: 30]، ومعنى (شغفها حُبا): أي دخل حبُّه في شغافها وهو غلاف القلب فنفذ منه إلى عمق القلب فلازمه[10]، وأهل مصر الذين بُعث فيهم يوسف –عليه السَّلام– كانوا مشركين[11]، لقوله تعالى حكاية عن يوسف –عليه السلام–: {قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (37)} [يوسف: 37].

والله تعالى خلق في القلب قُوَّتين: وهما قوة التصوُّر وهي إدراك المعاني، وقوة الإرادة التي قطباها الحبُّ والبُغض، كما خلق في البدن قُوَّتين: وهما قوة الإدراك الحسِّي وقوة الحركة، ومرض القلب المذكور في القرآن هو فساد يخرج به القلب عن اعتداله، إما من جهة فساد التصوُّر بالشُّبهة فيصير لا يرى الأشياء على حقيقتها، فيستحسن القبيح ويستقبح الحسن، وإمَّا من جهة الإرادة بالشَّهوة فيصير يُحبُّ ما فيه مضرَّته ويُبْغض ما فيه منفعته[12].

وبناء على هذا فالعشق: مرض نفساني لأنَّه خارج عن الحبّ المعتدل، وقد يقوى فيُؤثِّر على الدِّماغ فيتشوَّش الإدراك وقد يُؤثِّر على البدن فيُصاب بالضَّعف والنُّحول، واختلف في أيِّ الجهتين يدخل، هل من جهة التصوُّرات حيث يتصوَّر المعشوق على غير ما هو به، أو من جهة الإرادات حيث تتَّجه إرادته إلى معشوقه إلى درجة أنَّه ينأى عن إرادة ما ينفعه وربَّما انحرف إلى محبَّة ما يضرُّه في سبيل توجُّه إرادته إلى معشوقه، وإن دخل الفساد إلى القلب من إحداهما شقي العبد بقدر الفساد الدَّاخل عليه.[13]

وقد جاء في كثير من النُّصوص أنَّ الله تعالى يحب عباده من أهل الإيمان، وأن عباده يحبونه قال تعالى: {فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} [المائدة: 54]، وعاتب الله تعالى من يُقدِّم محبَّة غيره من الأقارب والزَّوجات والأموال على محبَّته، قال تعالى: {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (24)} [التوبة: 24]، وجعل النَّبي- صلى الله عليه وسلم- أساس سعادة العبد المؤمن في أن تكون محبَّة الله ورسوله هي المقدَّمة، ثبت عنه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قوله: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ : مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلهِ ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»[14].

ولأنَّ العشق حبٌّ خارج عن الاعتدال، والله تعالى من أسمائه وصفاته العدل -سبحانه وتعالى- لم يأت في النصوص وصفه به[15]، ومعلوم أنَّ أسماء الله تعالى وصفاته وأفعاله توقيفيَّة على النَّص لا مجال للرَّأي والاجتهاد فيها[16]،

كما أنَّه من المعهود والثَّابت في عرف النَّاس أنَّ العشق يطلق على النِّكاح ومُقدِّماته من النَّظر والضَّمّ والقُبلة، وإن كان كثير من العُشَّاق لا يختار النِّكاح[17]، ولذلك كانت العرب تقول: إذا نُكِح الحُبُّ فسد[18]. وهذا إمَّا أن يُوهم معنى فاسدا في علاقة العبد بربِّه -تعالى وتقدَّس-، أو يُوهم معنى الحلول والاتِّحاد، قال بن تيمية:

[19]«...كذلك الذين يقولون بالحلول العام والذين يقولون بالاتحاد في صور معينة أو بحلوله فيها كما يقوله الغالية من النصارى والرافضة وغالية النساك فإن هؤلاء يصفونه بما يوصف به البشر من النكاح تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا، هو الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولو يكن له كفوا أحد، ومن هؤلاء من يعشق الصور الجميلة ويزعم أنه يتجلَّى فيها وأنه إنما يحب مظاهر جماله...».

وأمَّا السَّبب الحقيقي للعشق، فطائفة أغلقت باب البحث فيه، وقالت: الحبُّ كيفما كان لا يُفسَّر، وكلُّ حبٍّ ريم وصف سببه فهو ليس حبا حقيقيا، وقالت طائفة أخرى بتفسيره وهؤلاء افترقوا فرقتين؛ الأولى: قالت العشق مُركَّب من أمرين؛ استحسان للمعشوق وطمع في الوصول إليه، فمتى انتفى أحدهما انتفى العشق[20]. والثَّانيَّة: قالت بل العشق هو مناسبة ومشاكلة تحصل بين نفس العاشق ومعشوقه، ولذلك قالوا العشق لا يقف على الحسن والجمال ولا يلزم من عدمه عدمه، ولذلك قال قائلهم :وما الحبُّ من حُسْن ولا من مَلاحَةٍ ... ولكنَّه شيء به الرُّوح تَكْلَفُ [21].

وهذا صحيح يدلُّ عليه حديث: «الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ»[22] كما أنَّ وقائع العُشَّاق في القديم والحديث كُلُّها تروي لنا أنَّه حتَّى مع إدراك العاشق لاستحالة الوصول إلى معشوقته، كأن تتزوَّج وترحل من البلاد التي يسكنها مثلا لا يؤثِّر بالنَّقص في عشقه، بل كثيرا ما يُهيِّجه.

ولكن هذه المناسبة لا تنفرد وحدها بوقوع العشق، بل تفتقر إلى نوع جمال في المعشوق، ويتفاعل معها شعور العاشق بهذا الجمال[23]. ويرد على هذا أنَّه في بعض الأحيان يكون العشق من طرف واحد، وهذا الواقع يتنافى مع كون العشق مناسبة روحيَّة، إذ لو كان كذلك لوجب ألَّا يوجد العشق إلَّا من الطَّرفين. وقد أجاب عن هذا بن القيِّم، فقال: [24]«أن السبب قد يتخلف عنه مسببه لفوات شرط، أو لوجود مانع، وتخلف المحبة من الجانب الآخر لابد أن يكون لأحد ثلاثة أسباب؛ الأول: علة في المحبة، وأنها محبة عرضية لا ذاتية، ولا يجب الاشتراك في المحبة العرضية، بل قد يلزمها نفرة من المحبوب. الثاني: مانع يقوم بالمحب يمنع محبوبه له، إما في خلقه، أو في خلقه أو هديه أو فعله، أو هيئته أو غير ذلك. الثالث: مانع يقوم بالمحبوب يمنع مشاركته للمحب في محبته، ولولا ذلك المانع، لقام به من المحبة لمحبه مثل ما قام بالآخر، فإذا انتفت هذه الموانع، وكانت المحبة ذاتية، فلا يكون قط إلا من الجانبين».

2- أنواع العشق وآثاره:

1.2- أنواع العشق:

العشق يتنوَّع إلى عِدَّة أنواع بحسب الاعتبار والجهة التي يُنظر إليه منها، والذي ذكرته النُّصوص من الكتاب والسُّنة هو نوعان[25]:

الأوَّل: العشق الذي يكون بين جنسين مختلفين، وهو عشق النِّساء للرِّجال، وهذا الحُبُّ فطري مشروع، كحُبِّ الرَّجل زوجته أو حُبِّه لامرأة يُشرع له نكاحها، وقد جاء عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَنَّه قَالَ: «إِنَّمَا حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمُ النِّسَاءُ وَالطِّيبُ»[26]. ولكن قد ينحرف كما حدث في قِصَّة امرأة العزيز مع يوسف – عليه السَّلام–، وهي امرأة متزوِّجة من عزيز مصر، ومع ذلك وقعت في عشق يوسف –عليه السَّلام– وراودته عن نفسه لارتكاب الفاحشة، وتوعَّدته بالسِّجن إن لم يفعل، ولكنَّ الله تعالى حمى نبيَّه وعبده المُخلص يوسف –عليه السَّلام– قال تعالى: {وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ

إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (23) وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (24)} [يوسف: 23، 24] .

والنَّوع الثَّاني: العشق المثلي، عشق الرِّجال للرِّجال، وذلك في قِصَّة قوم لوط، قال تعالى: {وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (80) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (81) } [الأعراف: 80، 81]. ومن جنسه عشق المُردان، التي حكت كتب الأدب منه الكثير، ولذلك اتَّفق أهل العلم على تحريم النَّظر إلى الأمرد بشهوة، قال ابن تيمية: [27]«وكذلك النظر إلى الأمرد بشهوة هو من هذا الباب وقد اتفق العلماء على تحريم ذلك كما اتفقوا على تحريم النظر إلى الأجنبية وذوات المحارم بشهوة». وهذا النَّوع من العشق انحراف بأصله وفصله عن الفطرة التي جعلها الله تعالى في ميل الذَّكر إلى الأنثى والعكس، لأنَّه لا يتحقَّق منه مقصد التعمير وحفظ النَّسل، ومُخالف للطَّبيعة التي خلق الله عليها الذَّكر وهي أن يكون فاعلا، وهذا الانحراف يجعله مفعولا به، وعكس ذلك يُقال في جنس الإناث مثلا بمثل.

2.2- آثار العشق (الفوائد والمضارّ):

إذا تكلَّمنا عن آثار العشق فالمقصود النَّتائج التي تنبثق عنه أيا كانت سيِّئة أو حسنة، والعشق إذا كانت له بعض المحاسن من الدَّلالة على رِقَّة الطَّبع والاتِّصاف بالحِسِّ الوِجداني، حتَّى قال بعضهم: إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى...فقُمْ فاعْتلِف تِبْنا فأنت حِمارُ، وكذلك فإنَّه يحمل صاحبه على مكارم الأخلاق فهو يُشَجِّعُ جَنَانَ الْجَبَانِ، وَيُصَفِّي ذِهْنَ الْغَبِيِّ، وَيُسَخِّي كفَّ الْبَخِيل، وَيُذِلُّ عِزَّةَ الْمُلُوك، وَيُسَكِّنُ نَوَافِرِ الأَخْلَاق[28].

وفي الحقيقة هذه الأشياء المذكورة وإن كانت موجودة في العشق وهو الحبُّ المُفرط المُلازم، فهي موجودة كذلك في الحُبِّ المُعتدل، والحقيقة الفارقة بين الأمرين الثَّابتة والمُسلَّم بها عند كلِّ عاقل ما وعظ به جبريل –عليه السَّلام– نبيَّنا –صلَّى الله عليه وسلَّم–«وأحبب من شئت، فإنَّك مفارقه»[29]. إمَّا بموت أو ظروف قاهرة أيًّا كانت، وهذا لا يتناسب مع الحُبِّ المُفرط، ويُؤدِّي بصاحبه إلى قدر من الحُزن والألم النَّفسي بحيث تذوب فيه كلّ ما كان يتسلَّى به العاشق من تلك المشاعر، وما يجده في نفسه من البذل والعطاء تُجاه معشوقه، ولذلك قيل:

[30]«فَمَا فى الأَرْضِ أَشْقَى مِنْ مُحِبٍّ ... وَإِنْ وَجَدَ الهَوَى حُلْوَ المذَاقِ
تَرَاهُ بَاكِيًا فى كلِّ حَـــــــــالٍ ... مَخَافَةَ فُرْقةٍ، أَوْ لاشْتِيـــاقِ
فَيَبْكِى إِنْ نَأَوْا، شَوْقاً إِلَيْهِـــــمْ ... وَيَبْكِى إِنْ دَنَوْا، حَذَرَ الْفِرَاقِ
فَتَسْخنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّلاقـــــــي ... وَتَسْخنُ عَيْنُهُ عِنْدَ الْفِـرَاقِ»

والعاقل يُوازن بين المصالح والمفاسد، والمحاسن والمساوئ فيُقدِّم ما رجحت مصلحته وإن انطوى على بعض المفاسد، ويجتنب ما عظُمت مفسدته وإن اشتمل على بعض المصالح، والشّريعة مبناها على

ذلك، لقوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا} [البقرة: 219] .

وإذا تأمَّلنا الأضرار النَّاجمة عن العشق وجدناها أضعاف محاسنه، بل إنَّ المحاسن التي ذُكرت له لا يكاد يُرى لها أثر في جنب مساوئه، ومن أبرزها ما يلي:

أوَّلا: الشرك بالله تعالى في المحبَّة:

ومعلوم أنَّ الشرك هو أعظم الظلم وأقبح الذنوب، لأنَّه تسوية للخالق بالمخلوق فيما هو من خصائص الخالق – سُبحانه وتعالى–، فعَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: «سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ؟ قَالَ: أَنْ تَجْعَلَ لِلهِ نِدا وَهُوَ خَلَقَكَ »[31]، والحبُّ هو أساس العبادة ومركزها، فصرفه لغير الله تعالى، بحيث تُجعل محَبَّة غيره مُساوية لمحبِّته، فهذا من جنس ما حكاه الله تعالى عن المُشركين، حيث قال سُبحانه: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ } [البقرة: 165]، فكيف إذا جعل محبَّة غيره مُقدَّمة على محبَّته سُبحانه.

وعلامة العشق الشركي: أن يقدم العاشق رضا معشوقه على رضا ربه، وإذا كان في خدمة معشوقه بذل له أنفس ما يقدر عليه، وأمَّا إن كان في عبادة ربِّه بذل له أردأ ما عنده، وجعل لربه – إن أطاعه – ما فضُل من مجهوده في خدمة معشوقه، هذا إن أطاعه. وربما طغى بعضهم فصرَّح بأنَّ وَصل معشوقه أحبُّ إليه من عِبادة ربِّه [32].

ولذلك وقعت امرأت العزيز في العشق لمَّا كانت من قوم مشركين، وأنجى الله تعالى يوسف –عليه السَّلام– من كيد نساء مصر، بما كان معه من الإخلاص، قال تعالى: {كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (24)} [يوسف: 24][33].

ثانيا: التَّفريط في أمور الدُّنيا والدِّين:

الإنسان إنَّما يتحرَّك إلى ما يعود عليه بالنَّفع ويجتنب ما يعود عليه بالضُرِّ، إذا كان عنده قلبه، كما قال النَّبيُّ – صلى الله عليه وسلَّم–: « أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»[34]. أمَّا إن صار قلبه مِلْكا لغيره، فإنَّ قلبه يكون منشغلا دائم التفكير في معشوقه، وإن تحامل على هذا الشُّعور والاشتياق الذي يعيشه فإنَّ تحرَّكه –وإن كان أحسن من قعوده– في مصالحه سيكون صورِيا شكليا، وعندها سيفوته كثير من الإتقان في عمله والتَّركيز على أشغال حياته.

فيبقى في سكرته ورقدته حتَّى يفنى عُمره فيما لا طائل وراءه، فلا هو بالذي ظفِر بمحبوبه فتمتَّع به، ولا هو بالذي سعِد بحياته واستفاد منها، ولذلك وصف الله تعالى ما يترتَّب على العشق من هذه الحالة وهي غفلة الشخص عما ينفعه بالسَّكْرة، قال تعالى واصِفا قوم لوط، وما فعله بهم: {قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (71) لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (72) فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ (73)} [الحجر: 71 – 73]، وهذه السَّكْرة هي أعظم من سَكْرة الخَمر، ووجهه ما قاله بن القيِّم : [35]«ومعلوم أن شارب الخمر لا

يدوم سكره، بل لا بد أن يفيق، ولعل أوقات إفاقته أكثر من أوقات سكره. وأما سكرة العشق فقل أن يستفيق صاحبها إلا إذا جاءت الرسل تطلبه للقدوم على الله تعالى، ولهذا استمرت سكرة اللوطية حتى فاجأهم عذاب الله وعقوبته».

ثالثا: ضعف الجسم ونحوله وربما هلاكه بالموت:

إنَّ الله تعالى حرَّم كُلَّ ما يضُرُّ الإنسان من جميع النَّواحي، لا سِيَّما حفظ البدن الذي هو المركب الذي يعبر عليه الإنسان هذه الحياة الدُّنيا، ولذلك شرع الله تعالى ورسوله –صلى الله عليه وسلم– الأطعمة الطيِّبة، وحرَّم الخبيث منها، قال تعالى: {وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ} [الأعراف: 157]. كما شرع لهم الطيِّب من الأقوال والأعمال، وحرَّم عليهم الخبيث من الفعل والقول؛ ولذلك أمر الله تعالى الرُّسل وأتباعهم من الأمم بالعمل الصَّالح كما أباح لهم الأكل الطيِّب، قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (51) وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (52)} [المؤمنون: 51، 52].

ومعروف عن العشق ما يفعله بالبدن من إنهاكه وضَعفه، وربما أدى إلى تلفه بالموت، والأخبار – سواء التي سطَّرها التَّاريخ في أخبار من مضى أو ما نشهده في حياتنا اليوميَّة– في من قتلهم العشق كثيرة جِدا، وقد رفع إلى ابن عباس وهو بعرفة شاب قد انتحل حتى عاد جلدا على عظم، فقال: ما شأن هذا؟ قالوا: به العشق، فجعل ابن عباس يستعيذ بالله من العشق عامة يومه [36].

وقد قال الإمام بن حزم:[37] «وربما تزايد الأمر ورقَّ الطبع وعظُم الإشفاق فكان سبباً للموت ومفارقة الدنيا» ثم ذكر بعدها قصصا عديدة –بعضها نقلها عن الثِّقات، وبعضها عايشها بنفسه– في مُعاناة العُشَّاق وما أصابهم من المرض الذي أدَّى بهم إلى الموت.

رابعا: الحشر يوم القيامة مع من أحبَّه المرء، صالحا كان أم فاسقا:

والأصل في ذلك قول الله تعالى: {احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (22)} [الصافات: 22]. والأزواج هنا بمعنى الأشباه والنُّظراء والأشياع[38]. وقوله تعالى: {وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (7)} [التكوير: 7]. والتَّزويج هو جعل الفرد زوجا، أي قُرنت كُلُّ نفس بما يُشبهها ويُماثلها من النُّفوس[39].وجاء رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَقَالَ : «يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ تَرَى فِي رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْمًا وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»[40]. فكيف إذا وقع العشق على مُشركة أو فاسقة، ومعلوم مصير هؤلاء إذا لم يتوبوا عن ذنوهم، فمع من سيكون هذا العاشق –الذي أتعب نفسه في الدُّنيا– يوم الحشر؟

خامسا: الجنون:

لقد كرَّم الله الإنسان واختاره لحمل أمانة الخلافة في الأرض، لما ميَّزه به من خاصيَّة العقل، وكفى بذلك فضلا وإن كان سرد فضائله لا يتَّسع له المقام، ولذلك كان حِفظه من مقاصد الشَّريعة الضَّروريَّة، والعشق يُتلف عقل المرء بالجنون وأخبار مجانين العشق العَرَب خير شاهد على ذلك، قال بن القيِّم:

[41]«إذا تمكن من القلب واستحكم وقوي سلطانه، أفسد الذهن، وأحدث الوسواس، وربما ألحق صاحبه بالمجانين الذين فسدت عقولهم فلا ينتفعون بها. وأخبار العشاق في ذلك موجودة في مواضعها، بل بعضها مشاهد بالعيان، وأشرف ما في الإنسان عقله، وبه يتميز عن سائر الحيوانات، فإذا عدم عقله التحق بالحيوان البهيم، بل ربما كان حال الحيوان أصلح من حاله، وهل أذهب عقل مجنون ليلى وأضرابه إلا ذلك؟ وربما زاد جنونه على جنون غيره كما قيل:

قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم ... العشق أعظم مما بالمجانين

العشق لا يستفيق الدهر صاحبه ... وإنما يصرع المجنون في الحين».

3- علاج العشق والوقاية منه في ضوء الكتاب والسنة:

إذا ثبت أنَّ العشق هو حبٌّ خارج عن الحدِّ الطَّبيعي، وأنَّ له من الآثار ما ذُكر، فإنَّه ينبغي على كُلِّ عاقل السَّعي في حِماية قلبه قبل الوقوع فيه، والتَّخلُّص منه إن هو وقع فيه.

1.3- الطرق الشرعية للوقاية من العشق:

تتلخَّص طريقة الوقاية من العشق، في خطوتين وهما كما يلي:

أوَّلا: غض البصر:

العين هي بريد القلب، وكم من هام قلبه في العشق بسبب نظرة واحدة قلبت عليه حياته، فجعلت قلبه أسيرا لغيره بعد أن كان طوع تصريفه، والقصص في ذلك أكثر من أن تُحصر[42]، ولذلك كان الأمر بغضِّ البصر مُقدَّما على الأمر بحفظ الفرج، قال تعالى: {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (30)} [النور: 30]. وما ذلك إلَّا لأنَّ البصر هو المنفذ والوسيلة التي تتحرَّك بها الشَّهوة هذا من جهة [43]، ومن جهة أخرى فإنَّ العبد قد تعشق عينه من يستحيل عليه وِصالها فيتألَّم بذلك العشق قلبه أعظم الألم، ولذلك حصر النَّبيُّ -صلَّى الله عليه وسلَّم- جواز النَّظر إلى الأجنبيَّة نظَرَ ما يطلبه الرَّجل من المرأة عندما يتهيَّأ لِخطبتها، وبيَّن أنَّ ذلك ممَّا يخلق المودَّة بينهما، فعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: «خطبت امرأة، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنظرت إليها ؟ قال : قلت : لا ، قال : فانظر إليها ، فإنه أحرى أن يُؤدم بينكما» [44].

ولذلك فغضُّ البصر أوَّل الحواجز الشَّرعيَّة المانعة من سقوط القلب في مغبَّة العشق.

ثانيًا: ملأ القلب من محبة الرب:

لا يخلو العبد مهما عظُم إيمانه ونشاطه في الطَّاعة من فتور وضَعف، لقوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «إِنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةً، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ[45]، فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى سُنَّتِي فَقَدِ اهْتَدَى، وَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ»[46]. والإنسان بطَبعه مجبول على الوقوع في الخطأ، لقوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - : «كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ».[47] فقد تزيغ عينه في لحظة ضَعف، وقد يعزم على خِطبة امرأة فينظر إليها قاصدا نكاحها فلا يَتمُّ ذلك بينهما.

وإذا كان الأمر كذلك فإنَّ غضَّ البصر غير كاف في الوقاية من العشق، وإنَّما لابُدَّ أن يكون في القلب من محبَّة الله تعالى ما يُجنِّب المرء من أن يتشرَّب قلبه محبَّة غير الله محبَّةً يعِزُّ عليه أن يعيش حياته بدون القرب من هذا المحبوب، وهذا كثيرا ما لا يتيَّسر. ولذلك قال النَّبيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ : أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا...الحديث»[48].

ولذلك وصف كثير من الحُكماء العشق بأنَّه حركة قلب فارغ، ويقصدون بذلك أنَّه فارغ من محبَّة سوى المحبوب[49]، فإذا أتى الحُبُّ الأوَّل تمكَّن من القلب، كما قال مجنون ليلى: «أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى...فصادف قلبا خاليا فتمكَّنا»[50].

والطريق إلى التحقُّق بمحبَّة الله تعالى، نظريَّة وعمليَّة. أمَّا النَّظريَّة فهي التَّأمُّل في كمال الله تعالى وجماله وجلاله بإدراك معاني أسمائه الحُسنى وصفاته العُلا، وآثارها في خلقه، وقد أمر الله بذلك حيث قال سُبْحانه: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا} [الأعراف: 180] الآية. ثُمَّ أعقبها بعد بضع آيات بقوله –عزَّ وجلّ–: {أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ} [الأعراف: 185] الآية.

وأمَّا العمليَّة فهي الاجتهاد في الحِفاظ على الفرائض والواجبات، والمُسابقة في نوافل الطَّاعات، كما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «إِنَّ اللهَ قَالَ: ...وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ...»[51]. فدلَّ ذلك على أنَّ أفضل ما يتقرَّب به العبد ويتحبَّبُ به إلى ربِّه هو الحرص على الفرائض، ثُمَّ الاجتهاد في النَّوافل.

فإذا ترسَّخت محبَّة الله في قلب العبد، سكن واطمئنَّ واستطاع بذلك أن يعتاض عن كلِّ محبِّة بهذه المحبَّة للخالق سُبحانه، الذي أسدل على عبده من النِّعم ما يتقاصر عن شُكره، وقد بلغ سُبحانه من الجمال والجلال الكمالَ المُطلق.

2.3– الطرق الشرعية لعلاج العشق:

والخطوات الوقائيَّة التِّي مرَّت لها وجه علاجي، وبيان ذلك: أنَّ غضَّ البصر مع وجود العشق في القلب –وإن كان يصاحبه شيء من الألم النَّفسي– مِمَّا يُخَفِّف عن العاشق شِدَّة عشقه، وكذا الحرص على غرس محبَّة الله في القلب يُساعد على إخراج محبَّة غير الله تعالى من قلبه، تماما كما يطرد رائحة البخور الطيِّب ما تكدَّر في البيوت من روائح العفن.

ومع ذلك، فيُمكن أن نُسطِّر بعض الخطوات العلاجيَّة بعد وقوع المرء فيه، تنتشل العاشق من وَطأة العشق، وتُعيده إلى سوائه وطبيعته، وهي كالتَّالي:

أوَّلا: الاتصال بالمعشوق بالزواج، إن لم يقم مانع منه:

وهذا هو العلاج الأصليّ الذي يجب أن يُبذل الوُسع فيه، وألَّا يُحاد عنه إلَّا إذا استحال، وذلك لما جاء عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رضي الله عنهما–، عَنْ رَسُولِ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ :« لَمْ يُرَ لِلْمُتَحَابَّيْنِ مِثْلُ النِّكَاحِ»[52].

وقد كان السَّلف من الصحابة والتابعين يعدُّون السعي في الجمع بين العاشقين بالزواج من أعظم الحسنات، وقد تنوع هذا السعي تارة بالشفاعة كما في قصة النبي –صلى الله عليه وسلم– في شفاعته لمغيث عند زوجته بريرة –رض الله عنهما–[53]، وتارة بدفع مهر الزواج كاملا، وتارة بالتكلُّم مع أهل الفتاة، وتارة بتطليق الزوج زوجته التي قَلْبُها عند غير زوجها والسَّعي إلى تزويجها به رحمة بهما، إلى غير ذلك من الصُّور التي يعِزُّ حصرها[54]، ووجه عدّهم ذلك من أعظم الحسنات، أنَّ عكْسه من التَّفريق بين الزَّوجين هو من أعظم التصرُّفات التي تُفرح الشَّيطان، وقد ثبت عَنْ جَابِرٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً ، أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ : فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ : مَا صَنَعْتَ شَيْئًا . قَالَ : ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ . قَالَ : فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ : نِعْمَ أَنْتَ قَالَ الْأَعْمَشُ: أُرَاهُ قَالَ: فَيَلْتَزِمُهُ»[55].

ثانيا: الابتعاد عن كلِّ ما له تعلق بالمعشوق، وذلك إذا استحال الزواج، وقام مانع من الموانع الحائلة دون الزواج، سواء كان المانع شرعيا كأن تكون المعشوقة أختا من الرَّضاع مثلا، أو كان المانع كونيا كأن تكون من قوم عندهم له عداوة، حتَّى وإن اقتضى الهجرة من الدِّيار، وهذا الهجر الظاهري على مستوى الحسّ، لا بد أن يقترن معه هجر باطني على مستوى الشعور، وهو أن يُيَأِّس نفسه من وِصال معشوقه، قال بن القيِّم: [56]«وإن كان لا سبيل للعاشق إلى وصال معشوقه قدرا أو شرعا، أو هو ممتنع عليه من الجهتين، وهو الدَّاءُ العُضال، فمن علاجه إشعار نفسه اليأس منه، فإن النفس متى يئست من الشيء، استراحت منه، ولم تلتفت إليه».

ثالثا: اللُّجوء إلى الله تعالى بالتَّضرُّع والدُّعاء.

وحتَّى مع الالتزام بما ذُكر، فقد يقوى العشق ويتخلَّل القلب، فلا يزيده البُعد إلَّا شوقا، ولا تزيده الموعظة إلَّا تمسُّكا، ويكون حاله كما قال المُتنبِّي: [57]«يُرَادُ مِنَ القَلْبِ نِسْيَانُكُمْ ... وتَأبى الطِّبَاعُ على النَّاقِلَ». فهنا [58]«إن عجزت عنه هذه الأدوية كلها لم يبق له إلا صدق الملجأ إلى من يجيب المضطر إذا دعاه، وليطرح نفسه بين يديه على بابه، مستغيثا به، متضرعا، متذللا، مستكينا، فمتى وفق لذلك، فقد قرع باب التوفيق». والله تعالى هو الذي بيده تقليب القلوب، وبالتَّالي فهو القادر على أن يمحي أثر العشق مهما عظُم من القلب إن صدق توجُّه العبد إليه، فعن النَّوَّاسَ بْنَ سَمْعَانَ ، قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ، يَقُولُ : مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ ، إِنْ شَاءَ أَقَامَهُ ، وَإِنْ شَاءَ أَزَاغَهُ . قَالَ : وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ : يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ، ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ...الحديث»[59].

وكم ممَّن اتَّقى الله وامتنع عن وِصال معشوقه بالحرام فبُذل له حلالا، والقصص التي حفظتها كتب التَّاريخ، ورواها الأئمَّة بالأسانيد كثيرة جدا لا يسعها المقام[60].

خاتمة:

أبرز النَّتائج التي توصَّلت لها هذه الورقة البحثيَّة ما يلي:

1- لم يأت العشق في نصوص الوحي بلفظه، ولكن جاء بنفس معناه اللُّغوي فيها، والذي هو الحبُّ المفرط الملازم. وبيَّنت النُّصوص أنَّه مناسبة روحيَّة بين العاشق ومعشوقه.

2- ذكر الله تعالى نوعين من العشق في القرآن، وهما العشق الفطري وهو عشق الجنس الآخر، وتمثَّل في عشق امرأت العزيز ليوسف –عليه السَّلام–، والعشق المثلي وهو عشق نفس الجنس، والذي تمثَّل في فعل قوم لوط.

3- لم يأت في نصوص الوحي إطلاق العشق على الله تعالى، وبالتَّالي لا يجوز إطلاقه في حقِّه تُجاه عِباده لأنَّ صفاته وأفعاله توقيفيَّة على ما ثبت به النَّص، ولا يجوز إطلاقه في حقِّ العبد نحو ربِّه لأنَّ محبَّة الله تعالى لا حدَّ لها في قلب العبد، ومهما أحبَّ العبد ربَّه فإنَّ ذلك ضئيل بجنب النِّعم التي أسدلها على عبده.

4- العشق في ميزان معالم الشَّريعة انحراف، لأنَّه زيادة عن القدر الطَّبيعي في محبَّة المخلوق، ويُسبِّب من الأضرار الكثيرة على البدن وحياة الشَّخص دُنيا وآخرة ما يَسْلُب منه سعادته.

5- الطُّرق الوقائية التي أتى بيانها في الوحي من هذا داء العشق تتمثَّل في خُطوتين، الأولى: غضُّ البصر عن النَّظر إلى ما حرَّمه الله تعالى. والثَّانيَّة: ملأ القلب من محبَّة الرَّب، نظريا: بتأمُّل جميل أوصافه وجزيل نِعمه. وعمليا: بالمُحافظة على الفرائض والاجتهاد في النَّوافل.

6- الطُّرق العلاجيَّة منه تمثَّلت في ثلاث خُطوات، وهي: الأولى: الاتِّصال بالمعشوق بالطريق المشروع وهو الزَّواج، إن لم يقُم مانع شرعيٌّ أو قدريٌّ. والثَّانيَّة: هجر كل ما له تعلق بالمعشوق، وذلك إذا استحال الزواج، والثَّالثة: اللُّجوء إلى الله تعالى بالتَّضرُّع والدُّعاء.

وختاما أسأل الله تعالى أن يرزقنا محبَّته ومحبَّة من يُحبُّه ومحبَّة العمل الذي يُقرِّبُنا إلى حُبِّه، كما أسأله أن يُيسِّر لكلِّ عاشق الاتِّصال المشروع بمحبوبه، وأن يقيَنا سُبُل الحرام. والحمد لله رب العالمين.

الهوامش:

1- يُنظر: إسماعيل بن حماد أبو نصر الجوهري، «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية»، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين: بيروت- لبنان، ط4، 1407 هـ - 1987 م (ج4/ص152)؛ محمد أبو الفيض مرتضى الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من الباحثين، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب: الكويت، ط1، 1385هـ-1965م، (ج26/ص158)؛ محمد جمال الدين ابن منظور، «لسان العرب»، دار صادر: بيروت لبنان، ط3، 1414هـ-1993م (ج10/ص251).

2-أحمد بن فارس أبو الحسين الرازي، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر: بيروت لبنان، ط2، 1399هـ - 1979م (ج4/ص321).

3-يُنظر: الحسن بن عبد الله أبو هلال العسكري، «الفروق اللغوية»، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع: القاهرة مصر، ط1، 1418هـ-1997م ص(122).

4-يُنظر: محمد بن أحمد أبو منصور الأزهري، « تهذيب اللغة »، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي: بيروت - لبنان، ط1، 1422هـ-2001م، (ج1/ص118)؛ محمد أبو الفيض مرتضى الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، (ج26/ص159).

5- يُنظر: محمد أبو الفيض مرتضى الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، (ج26/ص159-160).

6-علي الطنطاوي، من غزل الفقهاء، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة-السعودية، ط1، 1408هـ-1988م، ص(13).

7-والحديث لم يخرجه أحد من أصحاب كتب الحديث سواء الصحاح أو السنن أو المسانيد و المعاجم والمصنَّفات، وإنَّما أخرجه الخرائطي في اعتلال القلوب، تحقيق: حمدي الدمرداش، الناشر: نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة- الرياض، ط2، 1421هـ/2000م، برقم106، (ج1/ص: 59).

8-يُنظر: محمد شمس الدين ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، دار المعرفة: المغرب، ط1، 1418هـ-1997م. ص: (242)؛ محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط1، 1412هـ/1992م، برقم: 409، (ج:1/ص: 587).

9-محمد شمس الدين بن قيِّم الجوزيَّة، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1403هـ/1983 م ص: (105).

10-يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق:أحمد شاكر ومحمود شاكر، مؤسسة الرسالة: بيروت-لبنان، ط1، 1420 هـ - 2000 م. (ج: 16/ص: 63).

11-يُنظر: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، جامع الرسائل، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، دار العطاء: الرياض- المملكة العربية السعودية، ط2، 1422هـ - 2001م (ج: 2/ص: 262).

12-أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، أمراض القلب وشفاؤها، المطبعة السلفية - القاهرة، ط2، 1399هـ، ص: (3-6).

13 يُنظر: المصدر السَّابق (23-24).

14-أخرجه البخاري في "صحيحه" (1 / 12) برقم: (16) (كتاب الإيمان ، باب حلاوة الإيمان)، ومسلم في "صحيحه" (1 / 48) برقم: (43) (كتاب الإيمان ، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان).

15-يُنظر: محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، إغاثة اللَّهفان من مصايد الشَّيطان، تحقيق: محمد حامد الفقِّي، مكتبة المعرفة: بيروت-لبنان، ط2، 1395هـ-1975م. (2/ 133).

16-يُنظر: محمد بن صالح العثيمين، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، الجامعة الإسلامية: المدينة-المملكة العربية السعودية، ط3، 1421هـ/2001م، ص: (28).

17-يُنظر: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، قاعدة في المحبة، تحقيق: محمد رشاد سالم، مكتبة التراث الإسلامي: القاهرة-مصر، ص: (54).

18-محمد شمس الدين بن قيِّم الجوزيَّة، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ص: (232).

19-أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، قاعدة في المحبة (ص: 56).

20-محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، تحقيق: محمد كريم راجح، دار الهلال: بيروت- لبنان، ط2، 1992م ص: (202).

21-يُنظر: محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، (ص: 68-69).

22-أخرجه البخاري في "صحيحه" (134/4) برقم: (3336) (كتاب أحاديث الأنبياء، باب الأرواح جنود مجندة)، أخرجه مسلم في "صحيحه" (8 /41) برقم: (2638) (كتاب البر والصلة والآداب ، باب الْأرواح جنود مجندة).

23- يُنظر: محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، روضة المحبين ونزهة المشتاقين ص: (66).

24 -محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، ص: (204).

25 -محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، دار المعرفة: المغرب، ط1، 1418هـ-1997م، (ص: 208).

26-أخرجه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (4 / 366) برقم: (1532) (مسند أنس بن مالك رضي الله عنه ، إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن عمه أنس)؛ وصحَّحه الحاكم في "مستدركه" (2 / 160) برقم: (2691).

27-أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف: المدينة النبوية- المملكة العربية السعودية، 1416هـ-1995م، (15/ 415).

28-يُنظر: محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، ص: (218-219).

29-أخرجه الحاكم في "مستدركه" (4 / 324) برقم: (8016) (كتاب الرقاق ، شرف المؤمن قيام الليل)؛ والطبراني في "الأوسط" (4 / 306) برقم: (4278) (باب العين ، عبد الله بن أحمد بن حنبل) . والحديث صحَّحه الألباني، في: سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم: 831، (2/ 483).

30-محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، إغاثة اللَّهفان من مصايد الشَّيطان، (1/ 40).

31-أخرجه البخاري في "صحيحه" (6 / 18) برقم: (4477) (كتاب تفسير القرآن ، باب قوله تعالى فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون)؛ ومسلم في "صحيحه" (1 / 63) برقم: (86) (كتاب الإيمان ، باب كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده).

32-يُنظر: محمد شمس الدين ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، (ص: 211-213)

33-يُنظر: محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، إغاثة اللَّهفان من مصايد الشَّيطان، (2/ 141).

34-أخرجه البخاري في "صحيحه" (1 / 20) برقم: (52) (كتاب الإيمان ، باب فضل من استبرأ لدينه)؛ ومسلم في "صحيحه" (5 / 50) برقم: (1599) (كتاب البيوع ، باب أخذ الحلال وترك الشبهات).

35-محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، إغاثة اللَّهفان من مصايد الشَّيطان، (2/ 153).

36-محمد شمس الدين ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، ص: (214).

37-أبو محمد بن حزم الأندلسي، طوق الحمامة في الألفة والأُلَّاف، تحقيق: د. إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر: بيروت-لبنان، ط2، 1987 م، ص: (257).

38-يُنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (21/ 27).

39-محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر: تونس، 1984 هـ، (30/ 145).

40-أخرجه البخاري في "صحيحه" (8 /39) برقم: (6168) (كتاب الأدب ، باب علامة حب الله)؛ ومسلم في "صحيحه" (8 / 43) برقم: (2641) (كتاب البر والصلة والآداب ، باب المرء مع من أحب).

41-محمد شمس الدين ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، ص: (214).

42-يُنظر: أبو محمد بن حزم الأندلسي، طوق الحمامة في الألفة والأُلَّاف، ص: (120).

43-يُنظر: محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (18/ 204).

44-أخرجه مسلم في "صحيحه" (4 / 142) برقم: (1424) (كتاب النكاح ، باب ندب النظر إلى وجه المرأة وكفيها لمن يريد تزوجها).

45-الشِرَّة: «النشاط والرغبة». [المبارك بن محمد أبو السعادات ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، المكتبة العلمية: بيروت-لبنان، ط1، 1399هـ-1979م (2/ 458)]. والفتور: «هو الضعف والانكسار». [المصدر السَّابق (3/ 408)].

46-أخرجه البخاري في "صحيحه" (2 / 50) برقم: (1131) (أبواب التهجد ، باب من نام عند السحر)؛ ومسلم في "صحيحه" (3 / 162) برقم: (1159) (كتاب الصيام ، باب النهي عَنْ صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقا).

47-أخرجه البخاري في "صحيحه" (93/8) برقم: (6439) (كتاب الرقاق، باب ما يتقى من فتنة المال)؛ ومسلم في "صحيحه" (99/3) برقم: (1048) (كتاب الزكاة، باب لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثا).

48-مرَّ تخريجه، الهامش رقم: (15).

49-يُنظر: محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، (ص: 201).

50-عبد السَّتَّار أحمد فرج (جمع وتحقيق وشرح)، ديوان مجنون ليلى، مكتبة مصر سعيد جوده وشركائه، 2010 م ص: (219).

51-أخرجه البخاري في "صحيحه" (8 / 105) برقم: (6502) (كتاب الرقاق ، باب التواضع).

52-أخرجه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (11 / 52) برقم: (43) (من اسمه عبد الله ، طاوس بن كيسان اليماني عن ابن عباس)؛ والحاكم في "مستدركه" (2 / 160) برقم: (2692) (كتاب النكاح ، لم ير للمتحابين مثل التزوج). حكم الحديث: صحيح. [يُنظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها برقم: 624، (196/2)].

53-أخرجه البخاري في "صحيحه" (7 / 48) برقم: (5280) (كتاب الطلاق ، باب خيار الأمة تحت العبد).

54-محمد شمس الدين بن قيِّم الجوزيَّة، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، فصل: (في رحمة المحبين والشفاعة لهم إلى أحبابهم في الوصال الذي يبيحه الدين)، من ص: (267) إلى ص: (278).

55-أخرجه مسلم في "صحيحه" (138/8) برقم: (2813) (كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس).

56-محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، ص: (205).

57-إبراهيم أبو القاسم ابن الإفْلِيلي، شَرْح شِعْر المُتَنبي- السفر الأول، مؤسسة الرسالة: بيروت-لبنان، 1412هـ-1992م (1/ 199).

58- محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، ص: (206).

59-أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (3 / 222) برقم: (943) (كتاب الرقائق ، ذكر الإخبار عما يجب على المرء من التملق إلى الباري في ثبات قلبه له على ما يحب من طاعته)؛ والحاكم في "مستدركه" (1 / 525) برقم: (1932) (كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر، ما من قلب إلا بين إصبعين من أصابع الرحمن). حكمه: صحيح. [يُنظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (5/ 126) برقم: 2091].

60-يُنظر مثلا: محمد شمس الدين بن قيِّم الجوزيَّة، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، فصل -فيمن ترك محبوبه حراما فبدل له حلالا-، من ص: (443) إلى ص: (455).